

# بيان التوحيد

الذي بعث الله به الرسل جميعاً  
وبعث به خاتمهم محمداً ﷺ

تأليف سماحة الشيخ

عبدالعزیز بن عبد الله بن باز  
مفتي عام المملكة العربية السعودية

دار القاسم للنشر

الرياض ١١٤٤٢ هـ . ص . ب ٦٣٧٣

ت : ٤٧٧٥٣١١ فاكس : ٤٧٧٤٤٣٢



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

③ دار القاسم للنشر، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن باز، عبدالعزيز بن عبد الله .

بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل . - الرياض .

٨٠ ص ١٢ × ١٧ سم

ردمك : ٩ - ٠٤١ - ٣٣ - ٩٩٦٠

١ - العنوان

١ - التوحيد

١٧/٢٢١٦

ديوي ٢٤٠

رقم الإيداع: ١٧/٢٢١٦

ردمك: ٩ - ٠٤١ - ٣٣ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

لرئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء

بالمملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين وآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.. أما بعد:

فهذه ثلاث كلمات في التوحيد من كتابي (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة):

الأولى: حقيقة التوحيد والشرك.

والثانية: توحيد المرسلين، وما يضاده من الكفر والشرك.

والثالثة: توضيح معنى الشرك بالله.

رأيت جمعها في كتاب واحد بعنوان: (بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعاً.. وبعث به خاتمهم محمداً ﷺ)، وذلك مساهمة مني في بيان التوحيد، والتحذير من الشرك الذي انتشر في كثير من بلاد العالم الإسلامي، من دعاء الأولياء والصالحين والتوسل بهم بعد موتهم، والبناء على القبور والنذر لها والطواف حولها، وغير ذلك من



الأمور القادحة في التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعاً،  
 الموضح في قوله الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٥٦].

راجياً من الله عز وجل أن ينفع بها عباده، وأن يصلح  
 أحوال المسلمين جميعاً، ويمنحهم الفقه في الدين، إنه  
 سميع قريب. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله  
 وصحبه.



## حقيقة التوحيد والشرك

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين،  
والصلاة والسلام على عبده ورسوله وخيرته من خلقه،  
وأمينه على وحيه، نبينا وإمامنا وسيدنا محمد ابن عبدالله بن  
عبدالمطلب الهاشمي العربي المكي ثم المدني، وعلى آله  
وأصحابه، ومن سلك سبيله، واهتدى بهداه إلى يوم الدين.  
أما بعد:

فإن الله عز وجل خلق الخلق؛ ليعبدوه وحده لا شريك  
له، وأرسل الرسل؛ لبيان هذه الحكمة والدعوة إليها، وبيان  
تفصيلها، وبيان ما يضادها، هكذا جاءت الكتب السماوية،  
وأرسلت الرسل البشرية من عند الله عز وجل للجن  
والإنس، وجعل الله سبحانه هذه الدار طريقاً للآخرة،  
ومعبراً لها، فمن عمرها بطاعة الله وتوحيده، واتباع رسله  
عليهم الصلاة والسلام، انتقل من دار العمل: وهي الدنيا،  
إلى دار الجزاء: وهي الآخرة، وصار إلى دار النعيم  
والحبرة والسرور، دار الكرامة والسعادة، دار لا يفنى



نعيمها، ولا يموت أهلها، ولا تبلى ثيابهم، ولا يخلق شبابهم، بل في نعيم دائم، وصحة دائمة، وشباب مستمر، وحياة طيبة سعيدة، ونعيم لا ينفد، يُنادى فيهم من عند الله عز وجل: «يا أهل الجنة، إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً»، هذه حالهم ولهم فيها ما يشتهون، ولهم فيها ما يدعون، ﴿ثُمَّ لَا مَنَ عَذَابٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٢]، ولهم فيها لقاء مع الله عز وجل كما يشاء، ورؤية وجهه الكريم جل وعلا.

أما من خالف الرسل في هذه الدار، وتابع الهوى والشيطان، فإنه ينتقل من هذه الدار إلى دار الجزاء، دار الهوان والخسران، والعذاب والآلام والجحيم، التي أهلها في عذاب وشقاء دائم، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٤٧]، وقال فيها أيضاً: ﴿وَلَنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال فيها جل وعلا: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ٥٦]..



والمقصود: أن هذه الدار هي دار العمل، وهي دار التقرب إلى الله عز وجل بما يرضيه، وهي دار الجهاد للنفوس، وهي دار المحاسبة، ودار التفقه والتبصر في الدين، والتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق والصبر عليه، والعلم والعمل، والعبادة والمجاهدة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (١١) ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ﴾ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]، فخلق الله الجن والإنس وهما: الثقلان؛ لعبادته عز وجل، لم يخلقهم سبحانه لحاجة به إليهم، فإنه سبحانه هو الغني بذاته عن كل ما سواه، كما قال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥) ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٦) ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (١٧) [فاطر: ١٥-١٧]، ولم يخلقهم ليتكسر بهم من قلة، أو يعتز بهم من ذلة، ولكنه خلقهم سبحانه لحكمة عظيمة، وهي: أن يعبدوه ويعظموه، ويخشوه، ويشنوا عليه سبحانه بما هو أهله، ويعلموا أسماءه وصفاته، ويشنوا عليه بذلك، وليتوجهوا إليه بما يحب من الأعمال والأقوال، ويشكروه على إنعامه، ويصبروا على ما ابتلاهم



به، وليجاهدوا في سبيله، وليتفكروا في عظمته، وما يستحق عليهم من العمل، كما قال عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الاعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِثَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رِسًا مَّا خَلَقَتْ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]، فانت: يا عبدالله، مخلق في هذه الدار، لا لتبقى فيها، ولا لتخلد فيها، ولكنك خلقت فيها لتثقل منها بعد العمل، وقد تُثقل منها قبل العمل، وأنت صغير لم تبلغ، ولم يجب عليك العمل لحكمة بالغة.

فالمقصود أنها دار ممزوجة بالشر والخير، ممزوجة بالأخلاق من الصالحات وغيرهم، ممزوجة بالأكدار والأفراح، والنافع والضار، وفيها الطيب والخبيث، والمرض والصحة، والغنى والفقر، والكافر والمؤمن، والعاصي والمستقيم، وفيها أنواع من المخلوقات خلقت



لمصلحة الثقلين، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] .

والمقصود من هذه الخليفة كما تقدم: أن يعظم الله، وأن يطاع في هذه الدار، وأن يعظم أمره ونهيه، وأن يعبد وحده سبحانه وتعالى بطاعة أوامره، وترك نواهيه، وقصده سبحانه في طلب الحاجات، وعند الملمات، ورفع الشكاوى إليه، وطلب الغوث منه، والاستعانة به في كل شيء، وفي كل أمر من أمور الدنيا والآخرة.

فالمقصود من خلقك وإيجادك: يا عبدالله، هو توحيد سبحانه، وتعظيم أمره ونهيه، وأن تقصده وحده في حاجاتك، وتستعين به على أمر دينك ودنياك، وتتبع ما جاء به رسله، وتنقاد لذلك طائعاً مختاراً، مُجباً لما أمر به، كارهاً لما نهى عنه، ترجو رحمة ربك، وتخشى عقابه سبحانه وتعالى.

والرسل أرسلوا إلى العباد ليُعرفوهم هذا الحق، ويعلموهم ما يجب عليهم، وما يحرم عليهم، وما يحرم عليهم، حتى لا يقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير، بل قد جاءتهم الرسل مبشرين ومنذرين، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ



بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا  
الطَّاغُوتَ ﴿النحل: ٣٦﴾، وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ  
وْمُنْذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]،  
وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا  
إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، .

فهم قد أرسلوا ليوصلوا الثقليين لما قد أرسلوا به،  
ويرشدوهم إلى أسباب النجاة ولينذروهم أسباب الهلاك،  
وليقيموا عليهم الحجة، ويقطعوا المعذرة، والله سبحانه  
يحب أن يُمدح، ولهذا أنشئ على نفسه بما هو أهله، وهو  
غيبور على محارمه، ولهذا حرم الفواحش ما ظهر منا وما  
بطن.

فعليك: أن تحمده سبحانه، وتثني عليه بما هو أهله،  
فله الحمد في الأولى والآخرة. وعليك أن تثني عليه  
بأسماؤه وصفاته، وأن تشكره على إنعامه وأن تصبر على ما  
أصابك، مع أخذك بالأسباب التي شرعها الله وأباحها لك.  
وعليك أن تحترم محارمه، وأن تبتعد عنها، وأن تقف عند  
حدوده؛ طاعة له سبحانه، ولما جاءت به الرسل.  
وعليك: أن تتفقه في دينك، وأن تتعلم ما خلقت له،



وأن تصبر على ذلك حتى تؤدي الواجب على علم وعلى بصيرة، قال ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»، وقال ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة» خرجهما مسلم في صحيحه.

وأعظم الأوامر وأهمها: توحيد سبحانه، وترك الإشراك به عز وجل، وهذا هو أهم الأمور، وهو أصل دين الإسلام، وهو دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، وهو توحيد الله وإفراده بالعبادة، دون كل من سواه.

هذا هو أصل الدين، وهو دين الرسل جميعاً من أولهم نوح، إلى خاتمهم محمد عليهم الصلاة والسلام، لا يقبل الله من أحد ديناً سواه، وهو الإسلام.

وسمي إسلاماً؛ لما فيه من الاستسلام لله، والذل له، والعبودية له، والانقياد لطاعته: وهو توحيد، الإخلاص له. مستسلماً له جل وعلا، وقد أسلمت وجهك لله، وأخلصت عملك لله، ووجهت قلبك إلى الله في شرك وعلايتك، وفي خوفك وفي رجائك، وفي قولك وفي عملك، وفي كل شأنك.

تعلم أنه سبحانه هو الإله الحق، والمستحق لأن يعبد



ويطاع ويعظم، لا إله غيره ولا رب سواه.

وإنما تختلف الشرائع، كما قال سبحانه: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، أما دين الله فهو واحد، وهو دين الإسلام، وهو إخلاص العبادة لله وحده، وإفراده بالعبادة من دعاء، وخوف، ورجاء، وتوكل، ورغبة، ورهبة، وصلاة، وصوم وغير ذلك، كما قال سبحانه وبحمده: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، أي: أمر ألا تعبدوا إلا إياه، وقال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، أخبر عباده بهذا؛ ليقولوه، وليعترفوا به. فعلمهم كيف يشنون عليه، فقال عز من قائل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥



إياك نعبد وحدك، وإياك نستعين وحدك، لا رب ولا معين سواك، فجميع ما يقع من العباد هو من الله، وهو الذي سخرهم، وهو الذي هيأهم لذلك، وأعانهم على ذلك، وأعطاهم القوة على ذلك؛ ولهذا يقول جل وعلا: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، فهو سبحانه المنعم، وهو المستعان والمعبود بالحق جل وعلا.

فأنت يا عبد الله، إذا جاءتك نعمة على يد صغير أو كبير، أو مملوك أو ملك، أو غيره، فكله من نعم الله جل وعلا، وهو الذي ساق ذلك ويسره سبحانه، خلق من جاء بها وساقها على يديه، وحرك قلبه ليأتيك بها، وأعطاه القوة والقلب والعقل، وجعل في قلبه ما جعل حتى أوصلها إليك.

فكل النعم من الله جل وعلا مهما كانت الوسائل، وهو المعبود بالحق، وهو الخالق للعباد، وهو مربيهم بالنعم، وهو الحاكم بينهم في الدنيا والآخرة، وهو الموصوف بصفات الكمال المنزه عن صفات النقص والعيب، واحد في ربوبيته، واحد في ألوهيته، واحد في أسمائه وصفاته، جل وعلا، وهو سبحانه له التوحيد من جميع الوجوه، له



الوحدانية في خلقه العباد، وتدبيره لهم، ورزقه لهم، وتصريفه لشئونهم، لا يشاركه في ذلك أحد سبحانه وتعالى، يدبر الأمر جل وعلا، كما قال جل وعلا: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٢]، ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٤٣]، الآية، فهو المستحق للعبادة؛ لكمال إنعامه، وكمال إحسانه، ولكونه الخلاق والرزاق، ولكونه مُصرف الأمور ومدبرها، ولكونه الكامل في ذاته وصفاته وأسمائه فلهذا استحق العبادة على جميع العباد واستحق الخضوع عليهم.

والعبادة: هي الخضوع والذل، وسمي الدين عبادة؛ لأن العبد يؤديه بخضوع لله، وذل بين يديه، ولهذا قيل للإسلام عبادة.

تقول العرب: طريق معبد، يعني: مذل، قد وطأته الأقدام، حتى صار لها أثر بين يُعرف، ويقال: بعير معبد:



أي قد شد ورحل عليه، حتى صار له أثر فصار معبدًا.  
والعبد: هو الذليل المنقاد لله، المعظم لحرماته، وكلما  
كان العبد أكمل معرفة بالله وأكمل إيماناً به، صار أكمل  
عبادة.

ولهذا كان الرسل أكمل الناس عبادة؛ لأنهم أكملهم  
معرفة وعلماً بالله، وتعظيماً له من غيرهم، صلوات الله  
وسلامه عليهم.

ولهذا وصف الله نبيه محمداً ﷺ بالعبودية في أشرف  
مقاماته، فقال سبحانه: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]  
وقال تعالى: ﴿لِلْحَمْدِ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١]،  
وقال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، إلى غير  
ذلك.

فالعبودية مقام عظيم وشريف، ثم زادهم الله فضلاً من  
عنده سبحانه بالرسالة التي أرسلهم بها، فاجتمع لهم  
فضلان: فضل الرسالة، وفضل العبودية الخاصة. فأكمل  
الناس في عبادتهم لله، وتقواهم له: هم الرسل والأنبياء  
عليهم الصلاة والسلام، ثم يليهم الصديقون الذين كمل  
تصديقهم لله ولرسله، واستقاموا على أمره، وصاروا خير



الناس بعد الأنبياء، وعلى رأسهم: أبوبكر الصديق رضي الله عنه، فهو رأس الصديقين، وأكملهم صديقية، بفضلته وتقواه، وسبقه إلى الخيرات، وقيامه بأمر الله خير قيام، وكونه قرين رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار، ومناعبه بكل ما استطاع من قوة رضي الله عنه وأرضاه.

فالمقصود: أن مقام العبودية، ومقام الرسالة هما أشرف المقامات، فإذا ذهبت الرسالة بفضلها، بقي مقام الصديقية بالعبادة.

فأكمل الناس إيماناً وصلاً وتقوى وهدى: هم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لكمال علمهم بالله، وعبادتهم له، وذلهم لعظمته جل وعلا، ثم يليهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون، كما قال جل وعلا: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ١٦﴾ [النساء: ٦٩]، ولا بد مع توحيد الله من تصديق رسوله، ولهذا لما بعث الله نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام، صار يدعو الناس أولاً إلى توحيد الله، وإلى الإيمان بأنه رسوله عليه الصلاة والسلام.



فلا بد من أمرين: توحيد الله، والإخلاص، ولا بد مع ذلك من تصديق الرسل عليهم الصلاة والسلام.

فمن وَحَّد الله، ولم يصدق الرسل فهو كافر، ومن صدقهم ولم يوحد الله فهو كافر، فلا بد من الأمرين: توحيد الله، وتصديق رسله عليهم الصلاة والسلام.

والاختلاف في هذا المقام هو في الشرائع، وأما توحيد الله والإخلاص له، وترك الإشراك به، وتصديق رسله، فهو أمر لا اختلاف فيه بين الأنبياء، بل لا إسلام ولا دين ولا هدى ولا نجاة إلا بتوحيد الله عز وجل، وإفراده بالعبادة، والإيمان بما جاء به رسله عليهم الصلاة والسلام، جملة وتفصيلاً.

فمن وحد الله جل وعلا، ولم يصدق نوحاً في زمانه، أو إبراهيم في زمانه، أو هوداً، أو صالحاً، أو إسماعيل، أو إسحاق، أو يعقوب، أو من بعدهم إلى نبينا محمد ﷺ فهو كافر بالله عز وجل، حتى يصدق جميع الرسل، مع توحيد الله عز وجل.

فالإسلام في زمن آدم: هو توحيد الله مع اتباع شريعة آدم عليه الصلاة والسلام، والإسلام في زمن نوح: هو توحيد



الله مع اتباع شريعة نوح عليه الصلاة والسلام، والإسلام في زمن هود: هو توحيد الله مع اتباع شريعة هود عليه الصلاة والسلام، والإسلام في زمن صالح: هو توحيد الله مع اتباع شريعة صالح عليه الصلاة والسلام، حتى جاء نبينا محمد ﷺ، فكان الإسلام في زمانه: هو توحيد الله مع الإيمان بما جاء به محمد ﷺ، واتباع شريعته.

فاليهود والنصارى لما لم يصدقوا محمداً عليه الصلاة والسلام، صاروا بذلك كفاراً ضلالاً، وإن فرضنا أن بعضهم وُحِدَ الله، فإنهم ضالون كفار بإجماع المسلمين؛ لعدم إيمانهم بمحمد ﷺ، فلو قال شخص: إني أعبد الله وحده، وأصدق محمداً في كل شيء إلا في تحريم الزنا، بأن جعله مباحاً، فإنه يكون بهذا كافراً حلال الدم والمال بإجماع المسلمين، وهكذا لو قال: إنه يوحد الله ويعبده وحده دون كل من سواه، ويصدق الرسل جميعاً، وعلى رأسهم محمد ﷺ إلا في تحريم اللواط: وهو إتيان الذكور، صار كافراً حلال الدم والمال بإجماع المسلمين، بعد إقامة الحجة عليه إذا كان مثله يجهل ذلك، ولم ينفعه توحيده ولا إيمانه؛ لأنه كذب الرسول، وكذب الله في بعض الشيء.



وهكذا لو وحد الله، وصدق الرسل، ولكن استهزا بالرسول في شيء، أو استنقصه في شيء أو بعض الرسل، صار كافراً بذلك، كما قال جل وعلا: ﴿قُلْ أَيَاللّٰهِ وَآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿[التوبة: ٦٥-٦٦]، ثم إن ضد هذا التوحيد هو الشرك بالله عز وجل، فإن كل شيء له ضد، والضد يبين بالضد، قال بعض الشعراء:

والضد يظهر حسنه الضد ويضدها تتميز الأشياء

فالشرك بالله عز وجل هو ضد التوحيد الذي بعث الله به الرسل عليهم الصلاة والسلام، فالمشرك مشرك؛ لأنه أشرك مع الله غيره فيما يتعلق بالعبادة لله وحده، أو فيما يتعلق بملكه وتديره العباد، أو بعدم تصديقه فيما أخبر أو فيما شرع، فصار بذلك مشركاً بالله، وفيما وقع منه من الشرك.

وتوحيد الله عز وجل الذي هو معنى لا إله إلا الله يعني: أنه لا معبود بحق إلا الله، فهي تنفي العبادة عن غير الله بالحق، وتثبتها لله وحده، كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿قَاطِعَةً أُنْتُمْ لَآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿شَهِدَ



اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَابِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
 الْمَرْيُوزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال سبحانه:  
 ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ [النحل: ٥١]،  
 فتوحيد الله هو إفراده بالعبادة عن إيمان، وعن صدق، وعن  
 عمل، لا مجرد كلام، ومع اعتقاده بأن عبادة غيره باطلة،  
 وأن عباد غيره مشركون، ومع البراءة منهم، كما قال عز  
 وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا  
 لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ  
 الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [المتحنة: ٤]، وقال  
 تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢١﴾ إِلَّا  
 الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧]، ف تبرأ من عباد  
 غير الله، ومما يعبدون.

فالمقصود: أنه لا بد من توحيد الله، بإفراده بالعبادة،  
 والبراءة من عبادة غيره، وعابدي غيره، ولا بد من اعتقاد  
 وبطلان الشرك، وأن الواجب على جميع العباد من جن  
 وإنس أن يخصوا الله بالعبادة، ويؤدوا حق هذا التوحيد  
 بتجسيم شريعة الله، فإن الله سبحانه وتعالى هو الحاكم،  
 ومن توحيدة: الإيمان والتصديق بذلك، فهو الحاكم في



الدنيا بشريعته، وفي الآخرة بنفسه سبحانه وتعالى، كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، .

وصرف بعض العبادة للأولياء، أو الأنبياء، أو الشمس والقمر، أو الجن، أو الملائكة، أو الأصنام، أو الأشجار أو غير ذلك، كل هذا ناقض لتوحيد الله، ومبطل له.

وإذا علم أن الله سبحانه بعث نبيه محمداً ﷺ، والأنبياء قبله إلى أمم يعبدون غير الله، منهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الأصنام المنحوتة، ومنهم من يعبد الكواكب إلى غير ذلك، فقد دعوهم كلهم إلى توحيد الله، والإيمان به سبحانه، وأن يقولوا: لا إله إلا الله، وأن يبرأوا مما يخالفها، وأن يبرأوا من عابدي غير الله، ومن معبوداتهم، وأن من صرف بعض العبادة لغيره فما وَحَّدَهُ، كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، .

وبهذا تعلم أن ما يصنع حول القبور المعبودة من دون



الله، مثل قبر البدوي، والحسين بمصر وأشبه ذلك، وما يقع من بعض الجهال من الحجاج وغيرهم، عند قبر النبي ﷺ من طلب المدد والنصر على الأعداء، والاستغاثة به والشكوى إليه ونحو ذلك - أن هذه عبادة لغير الله عز وجل، وأن هذا شرك الجاهلية الأولى، وهكذا ما قد يقع من بعض الصوفية من اعتقادهم أن بعض الأولياء يتصرف في الكون، ويدبر هذا العالم - والعياذ بالله - شرك أكبر في الربوبية.

وهكذا ما يقع من اعتقاد بعض الناس، أن بعض المخلوقات له صلة بالرب عز وجل، وأنه يستغني بذلك عن متابعة الرسول محمد ﷺ، أو أنه يعلم الغيب، أو أنه يتصرف في الكائنات، وما أشبه ذلك، فإنه كفر بالله أكبر، وشرك ظاهر، يخرج صاحبه من الملة الإسلامية إن كان ينتسب إليها.

فلا توحيد، ولا إسلام، ولا إيمان، ولا نجاة إلا بإفراد الله بالعبادة، والإيمان بأنه مالك الملك، ومدبر الأمور، وأنه كامل في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، لا شريك له، ولا شبيه له، ولا يقاس بخلقه عز وجل، فله الكمال



المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله، وهو مدبر الملك جل وعلا، لا شريك له، ولا معقب لحكمه.

هذا هو توحيد الله، وهذا هو إفراده بالعبادة، وهذا هو دين الرسل كلهم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، يعني: إياك نوحّد ونطيع، ونرجو ونخاف، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: نعبدك وحدك، ونرجوك ونخافك.

وإياك نستعين على طاعتك، وفي جميع أمورنا. فالعبادة: هي توحيد الله عز وجل والإخلاص له في طاعة أوامره، وترك نواهيه سبحانه وتعالى، مع الإيمان الكامل بأنه مستحق للعبادة، وأنه رب العالمين المدبر لعباده، والمالك لكل شيء، والخالق لكل شيء، وأنه الكامل في ذاته، وأسمائه وصفاته وأفعاله، ولا نقص فيه، ولا عيب فيه، ولا مشارك له في شيء من ذلك، سبحانه وتعالى، بل له الكمال المطلق في كل شيء جل وعلا.

ومن هذا نعلم: أنه لا بد من تصديق الرسل جميعاً فيما جاؤا به، وعلى رأسهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وأنه متى أخلص العبد العبادة لله وحده، وصدق رسله



عليهم الصلاة والسلام، ولا سيما محمد ﷺ، وانقاد لشعره واستقام عليه، إلا في واحد أو من أكثر من نواقض الإسلام فإنه تبطل عبادته، ولا ينفعه ما معه من أعمال الإسلام.

فلو أنه صدق محمداً في كل شيء، وانقاد لشريعته في كل شيء، لكن قال مع ذلك: مسيلمة رسول مع محمد - أعني: مسيلمة الكذاب الذي خرج في اليمامة وقاتله الصحابة في عهد الصديق رضي الله عنه - بطلت هذه العقيدة، وبطلت أعماله، ولم ينفعه صيام النهار، ولا قيام الليل، ولا غير ذلك من عمله؛ لأنه أتى بناقض من نواقض الإسلام، وهو تصديقه لمسيلمة الكذاب؛ لأن ذلك يتضمن تكذيب الله سبحانه في قوله عز وجل: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، كما تضمن تكذيب الرسول ﷺ في قوله ﷺ في الأحاديث المتواترة عنه عليه الصلاة والسلام، بأنه خاتم الأنبياء ولا نبي بعده.

وهكذا من صام النهار، وقام الليل، وتعبد وأفرد الله بالعبادة، واتبع الرسول ﷺ، ثم بعد ذلك في أي وقت من الأوقات صرف بعض العبادة لغير الله، كأن يجعل بعض



العبادة للنبي، أو للولي الفلاني، أو للصنم الفلاني، أو للشمس، أو للقمر، أو للكوكب الفلاني، أو نحو ذلك، يدعوه ويطلب منه النصر، ويستمد العون منه، بطلت أعماله التي سبقت كلها، حتى يعود إلى التوبة إلى الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وهكذا لو آمن بالله في كل شيء، وصدق الله في كل شيء، إلا في الزنا، فقال: الزنا مباح، أو اللواط مباح، أو الخمر مباحة، صار بهذا كافراً، ولو فعل كل شيء آخر من دين الله، فاستحلاله لما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة، صار باستحلاله هذا كافراً بالله، مرتداً عن الإسلام، ولم تنفعه أعماله ولا توحيده الله عند جميع المسلمين.

وهكذا لو قال: إن نوحاً، أو هوداً، أو صالحاً، أو إبراهيم، أو إسماعيل أو غيرهم ليس بنبي، صار كافراً بالله، وأعماله كلها باطلة؛ لكونه بذلك قد كذب الله سبحانه فيما أخبر به عنهم.



وهكذا لو حرّم ما أحله الله، مع التوحيد والإخلاص والإيمان بالرسول، فقال مثلاً: أنا ما أحل الإبل أو البقر أو الغنم أو غيرها مما أحله الله حلاً مجمعاً عليه، وقال: إنها حرام يكون بهذا كافراً مرتداً عن الإسلام بعد إقامة الحجة عليه، إذا كان مثله قد يجهل ذلك وصادف جنس من أحل ما حرم الله.

أو قال: ما أحل الحنطة أو الشعير، بل هما حرام، وما أشبه ذلك، صار كافراً، أو قال: إنه يستبيح البنت أو الأخت، صار بهذا كافراً بالله، مرتداً عن الإسلام، ولو صلى وصام وفعل باقي الطاعات؛ لأن واحدة من هذه الخصال تبطل دينه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

ونحن في زمان غلب فيه الجهل، وقّل فيه العلم، وأقبل الناس إلا من شاء الله، على علوم أخرى وعلى مسائل أخرى، تتعلق بالدنيا، فقّل علمهم بالله، وبدينه؛ لأنهم شغلوا بما يصدّهم عن ذلك، وصارت أغلب الدروس في أشياء تتعلق بالدنيا، أما التفقه في دين الله، والتدبر لشريعته سبحانه، وتوحيده، فقد أعرض عنه الأكثرون، وأصبح من



يشتغل به اليوم هو أقل القليل.

فينبغي لك: يا عبدالله، الانتباه لهذا الأمر، والإقبال على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، دراسة وتدبراً وتعقلاً، حتى تعرف توحيد الله والإيمان به، وحتى تعرف ما هو الشرك بالله عز وجل، وحتى تكون بصيراً بدينك، وحتى تعرف ما هو سبب دخول الجنة والنجاة من النار، مع العناية بحضور حلقات العلم والمذاكرة مع أهل العلم والدين، حتى تستفيد وتفيد، وحتى تكون على بينة وعلى بصيرة في أمرك.

والشرك شركان: أكبر، وأصغر.

فالشرك الأكبر: ينافي توحيد الله، وينافي الإسلام، ويحبط الأعمال، والمشركون في النار، وكل عمل أو قول دلّت الأدلة على أنه كفر بالله: كالاستغاثة بالأموات أو الأصنام، أو اعتقاد حل ما حرم الله، أو تحريم ما أحله الله، أو تكذيب بعض رسله، فهذه الأشياء تحبط الأعمال، وتوجب الردة عن الإسلام، كما سبق بيان ذلك. فقال تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨،



فهنا قد بين الله أن الشرك لا يغفر، ثم علق ما دونه على المشيئة، فأمره إلى الله سبحانه وتعالى، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، على قدر المعاصي التي مات عليها، غير نائب، ثم بعد أن يُطَهَّرَ بالنار يخرج الله منها إلى الجنة، بإجماع أهل السنة والجماعة، خلافاً للخوارج والمعتزلة، ومن سار على نهجهم.

أما في آية الزمر، فعمم وأطلق، فقال سبحانه: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُمْ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

قال العلماء: هذه الآية في التائبين، أما آية النساء فهي في غير التائبين، ممن مات على الشرك مصراً على بعض المعاصي، وهي قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

أما من مات على ما دون الشرك، كالزنا والمعاصي الأخرى، وهو يؤمن أنها محرمة، ولم يستحلها ولكنه انتقل إلى الآخرة ولم يتب منها، فهذا تحت مشيئة الله عند أهل السنة والجماعة إن شاء الله غفر له، وأدخله الجنة لتوحيده وإسلامه، وإن شاء سبحانه عذبه على قدر المعاصي التي



مات عليها بالنار من الزنا وشرب الخمر، أو عقوقه لوالديه، أو قطيعة أرحامه، أو غير ذلك من الكبائر، كما سبق إيضاح ذلك.

وذهب الخوارج إلى أن صاحب المعصية مخلد في النار، وهو بالمعاصي كافر أيضاً، ووافقهم المعتزلة بتخليده في النار، ولكن أهل السنة والجماعة خالفوهم في ذلك، ورأوا: أن الزاني والسارق والعاق لوالديه وغيرهم من أهل الكبائر لا يكفرون بذلك، ولا يخلدون في النار، إذا لم يستحلوا هذه المعاصي، بل هم تحت مشيئة الله كما تقدم، فهذه أمور عظيمة ينبغي أن نعرفها جيداً، وأن نفهمها كثيراً؛ لأنها من أصول العقيدة.

وأن يعرف المسلم حقيقة دينه، وضده من الشرك بالله تعالى، ويعلم أن باب التوبة من الشرك والمعاصي مفتوح إلى أن تطلع الشمس من مغربها.

ولكن المصيبة العظيمة، وهي الغفلة عن دين الله، وعدم التفقه فيه، فربما وقع العبد في الشرك والكفر بالله وهو لا يبالي؛ لغلبة الجهل، وقلة العلم بما جاء به الرسول ﷺ من الهدى ودين الحق. فانتبه لنفسك أيها العاقل، وعظم



حرمات ربك، وأخلص الله العمل، وسارع إلى الخيرات، واعرف دينك بأدلتها، وتفقه في القرآن والسنة بالإقبال على كتاب الله، وبحضور حلقات العلم وصحبة الأخيار، حتى تعرف دينك على بصيرة.

وأكثر من سؤال ربك الثبات على الهدى والحق، ثم إذا وقعت في معصية فبادر بالتوبة، فكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون، كما جاء في الحديث الصحيح؛ لأن المعصية نقص في الدين، وضعف في الإيمان.

فالبدار البدار إلى التوبة، والإقلاع والندم، والله يتوب على من تاب، وهو القائل سبحانه: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢١﴾ [النور: ٣١]، وقال عز وجل: ﴿يَتَابَتُ إِلَيْهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، فالتوبة لابد منها، وهي لازمة للعبد دائماً، والرسول ﷺ يقول: «التوبة تهدم ما كان قبلها»، فاستقم عليها، فكلما وقعت منك زلة فبادر بالتوبة والإصلاح، وكن متفهماً في دينك، لا تشغل بحظك في الدنيا، عن حظك من الآخرة، بل اجعل للدنيا وقتاً، وللتعلم وللتفقه في الدين، والتبصر والمطالعة والمذاكرة، والعناية بكتاب الله وسنة رسوله



ﷺ، وحضور حلقات العلم ومصاحبة الأخيار - غالب وقتك، فهذه الأمور هي أهم شأنك، وسبب سعادتك .  
وهناك نوع آخر وهو: الشرك الأصغر، مثل: الرياء، والسمعة في بعض العمل أو القول، ومثل أن يقول الإنسان: ما شاء الله وشاء فلان، والحلف بغير الله، كالحلف بالأمانة والكعبة والنبي وأشباه ذلك، فهذه وأشباهها من الشرك الأصغر، فلا بد من الحذر من ذلك، قال النبي ﷺ لما قال له رجل: ما شاء الله وشئت: «أجعلني لله ندا؟» ما شاء الله وحده، وقال النبي ﷺ: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»، وقال ﷺ: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»، وقال: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون»، وقال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك»، إلى غير هذا من الأحاديث الصحيحة الواردة في هذا المعنى، ومن ذلك قوله ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، فسئل عنه، فقال: «الرياء». وقد يكون الرياء كفراً أكبر إذا دخل صاحبه في الدين رياء ونفاقاً، وأظهر الإسلام لا عن إيمان ولا عن



محبة، فإنه يصير بهذا منافقاً كافراً كفراً أكبر.  
وكذلك إذا حلف بغير الله، وعظم المحلوف به مثل  
تعظيم الله، أو اعتقد أنه يعلم الغيب، أو يصلح أن يعبد مع  
الله سبحانه، صار بذلك مشركاً شركاً أكبر.  
أما إذا جرى على اللسان الحلف بغير الله كالكعبة،  
والنبي وغيرهما، بدون هذا الاعتقاد، فإنه يكون مشركاً  
شركاً أصغر فقط.  
وأسأل الله عز وجل أن يمنحنا وإياكم الفقه في دينه،  
والثبات عليه، وأن يرزقنا وإياكم الاستقامة عليه، وأن  
يعيذنا وإياكم من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، ومن  
مضلات الفتن، إنه تعالى جواد كريم.  
وصلّى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد،  
وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.





## توحيد المرسلين وما يضاده من الكفر والشرك

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وآل كُلِّ وسائر الصالحين. أما بعد:

فلما كان توحيد الله عز وجل والإيمان به وبرسوله عليهم الصلاة والسلام، أهم الواجبات وأعظم الفرائض، والعلم بذلك أشرف العلوم وأفضلها، ولما كانت الحاجة إلى هذا الأصل الأصيل داعية إلى بيانه بالتفصيل - رأيت إيضاح ذلك في هذه الكلمة الموجزة لشدة الحاجة إلى ذلك، ولأن هذا الموضوع العظيم جدير بالعناية، وأسأل الله عز وجل أن يوفقنا جميعاً لإصابة الحق في القول والعمل، وأن يعيذنا جميعاً من الخطأ والزلل. فأقول ومن الله سبحانه وتعالى استمد العون والتوفيق:

لا ريب أن التوحيد هو أهم الواجبات، وهو أول



فريضة، وهو أول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو زبدة هذه الدعوة، كما يبين ذلك ربنا عز وجل في كتابه المبين، وهو أصدق القائلين، حيث يقول سبحانه عن جميع المرسلين: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

أوضح جل وعلا أنه بعث في جميع الأمم في كل أمة رسولا يقول لهم: اعبدوا الله، واجتنبوا الطاغوت، هذه دعوة الرسل كل واحد يقول لقومه وأمته: اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت.

المعنى: وخذوا الله؛ لأن الخصومة بين الرسل والأمم في توحيد العبادة، وإلا فالأمم تقر بأن الله ربها وخالقها ورازقها، وتعرف كثيراً من أسمائه وصفاته، ولكن النزاع والخصومة، من عهد نوح إلى يومنا هذا في توحيد الله بالعبادة، فالرسل تقول للناس: اخلصوا العبادة له، وخذوه بها، واتركوا عبادة ما سواه، وأعدائهم وخصومهم يقولون: لا، بل نعبد ونعبد غيره، ما نخصه بالعبادة.

هذا هو محل النزاع بين الرسل والأمم. الأمم لا تنكر عبادته بالجملة، بل تعبد، ولكن النزاع هل يخص بها أم لا



يُخَصُّ؟ فَالرَّسُلُ بَعَثَهُمُ اللَّهُ لَتَخْصِيصِ الرَّبِّ بِالْعِبَادَةِ، وَتَوْحِيدِهِ بِهَا، دُونَ كُلِّ مَا سِوَاهُ؛ لَكُونَهُ عِزٌّ وَجَلُّ الْمَالِكِ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْخَلَاقُ، الرِّزَاقُ لِلْعِبَادِ، الْعَلِيمُ بِأَحْوَالِهِمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

فلهذا دعت الرسل عليهم الصلاة والسلام جميع الأمم، إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له سبحانه وتعالى، وترك عبادة ما سواه.

وهذا هو معنى قوله عز وجل: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذا المعنى: العبادة هي التوحيد. وهكذا قال جميع العلماء: إن العبادة هي التوحيد. إذ هو المقصود، والأمم الكافرة تعبد الله وتعبد معه سواه، كما قال جل وعلا: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧]، فتركوا من معبوداتهم كلها إلا فاطره سبحانه: أي خالقه. فعلم أنهم يعبدونه، ويعبدون معه غيره.

فلهذا تبرأ الخليل من معبوداتهم سوى خالقه وفاطره عز وجل، وهو الله سبحانه وتعالى. وهكذا قوله عز وجل:



﴿وَأَعَزِّلُكُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ [مريم: ٤٨]، فعلم أنهم يعبدون الله، ويعبدون معه غيره. والآيات في هذا المعنى كثيرة، فعلمنا بذلك أن المقصود من دعوة الرسل: تخصيص الله بالعبادة، وإفراده بها، لا يُدعى إلا هو جل وعلا، ولا يستعاث إلا به، ولا ينذر إلا له، ولا يذبح إلا له، ولا يُصلي إلا له.. إلى غير ذلك من العبادات، فهو المستحق لها جل وعلا دون كل ما سواه، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، فإن معناها: لا معبود حق إلا الله.

هذا هو معناها عند أهل العلم؛ لأن الآلهة موجودة بكثرة والمشركون من قديم الزمان: من عهد نوح يعبدون آلهة من دون الله، منها: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، وغير ذلك.

وهكذا العرب عندها آلهة كثيرة. وهكذا الفرس والروم وغيرهم كلهم عندهم آلهة يعبدونها مع الله. فعلم بذلك أن المقصود بقول: لا إله إلا الله هو المقصود بدعوة الرسل: وهو أن يوحد الله، ويخصه بالعبادة دون كل ما سواه جل وعلا، ولهذا يقول سبحانه في كتابه المبين: ﴿ذَلِكَ يَأْتِكُ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، فاتضح بذلك



أن المقصود: تخصيصه بالعبادة دون كل ما سواه، وأنه سبحانه المعبود الحق جل وعلا، وأن ما عُبد من دونه معبود باطل؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، أي: وحدوا الله واجتنبوا الطاغوت، أي: اتركوا عبادة الطاغوت، وابتعدوا عنها.

والطاغوت: كل ما عُبد من دون الله من الإنس والجن والملائكة، وغير ذلك من الجمادات، ما لم يكن يكره ذلك ولا يرضى به.

والمقصود. أن الطاغوت: كل ما عُبد من دون الله من الجمادات وغيرها، ممن يرضى بذلك، أما من لا يرضى بذلك؛ كالملائكة، والأنبياء، والصالحين، فالطاغوت: هو الشيطان الذي دعا إلى عبادتهم، وزينها للناس.

فالرسل والأنبياء والملائكة، وكل صالح لا يرضى أن يُعبد من دون الله أبداً، بل ينكر ذلك ويحاربه، فليس بطاغوت، وإنما الطاغوت: كل ما عبد من دون الله ممن يرضى بذلك؛ كفرعون، وإبليس وأشباههما ممن يدعو إلى ذلك، أو يرضى به. وهكذا الجمادات من الأشجار



والأحجار والأصنام المعبودة من دون الله، كلها تسمى: طاغوتاً؛ بسبب عبادتها من دون الله.

وفي هذا المعنى يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وهذه الآية مثل الآية السابقة، يبين فيها سبحانه أن دعوة الرسل جميعاً: هي الدعوة إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده جل وعلا دون كل ما سواه، ولو كان قوله: لا إله إلا الله يكفي مع قطع النظر عن تخصيص الله بالعبادة والإيمان بأنه هو المستحق لها، لما امتنع الناس من ذلك، ولكن المشركين عرفوا أن قولها يبطل أللهتهم، وأن قولها يقتضي: أن الله هو المعبود الحق، والمختص بذلك جل وعلا.

فلهذا أنكروها وعادوها واستكبروا عن الاستجابة لها، فاتضح بهذا أن المقصود من ذلك: تخصيص الله بالعبادة، وإفراده بها دون جميع ما عُبد من دونه سبحانه وتعالى، من أنبياء، أو ملائكة، أو صالحين، أو جن أو غير ذلك؛ لأن الله سبحانه هو المالك الرازق القادر المحيي المميت، الخالق لكل شيء، المدير لأمور العباد، فهو المستحق لأن



يُعْبَدُ جَلَّ وَعَلَا، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِأَحْوَالِهِمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛  
فَلِذَلِكَ بَعَثَ الرُّسُلَ لِدَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَى تَوْحِيدِهِ وَالْإِخْلَاصِ  
لَهُ، وَلِبَيَانِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَنَّهُ الْمُسْتَحَقُّ لِأَن يُعْبَدَ  
وَيُعْظَمَ؛ لِكَمَالِ عِلْمِهِ، وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَكَمَالِ أَسْمَائِهِ  
وَصِفَاتِهِ، وَلِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّافِعُ الضَّارُّ، الْعَالِمُ بِأَحْوَالِ  
عِبَادِهِ، السَّمِيعُ لِدَعَائِهِمْ، الْكَفِيلُ بِمَصَالِحِهِمْ جَلَّ وَعَلَا، فَهُوَ  
الْمُسْتَحَقُّ لِأَن يُعْبَدَ جَلَّ وَعَلَا دُونَ مَا سِوَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،  
وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ عَلَيْهِمُ  
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُمْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ: ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ  
إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٥٠]، فَهَذَا مُطَابِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ  
بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾  
[النحل: ٣٦].

وَقَدْ أَجَابَ قَوْمَ هُودٍ نَبِيَّهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِقَوْلِهِمْ:  
﴿أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَإِنَّا بِنَا  
تَعِدُّنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠].

فَقَدْ عَلِمُوا الْمَعْنَى وَعَرَفُوهُ وَهُوَ: أَنَّ دَعْوَةَ هُودٍ عَلَيْهِ  
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَقْتَضِي إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَخَلَعَ  
الْأَوْثَانَ الْمَعْبُودَةَ مِنْ دُونِهِ، وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿قَالُوا أَاجِئْنَا



لَتَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَإِنَّا بِمَا تَعْبُدُونَ إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ [الأعراف: ٧٠]، فاستمروا على العناد والتكذيب، حتى نزل بهم العذاب، نسأل الله العافية.

والله سبحانه أنزل الكتب وأرسل الرسل؛ ليعبد وحده لا شريك له، وليبين حقه لعباده، ويذكر للعباد ما هو موصوف به سبحانه من أسمائه الحسنى وصفاته العلا؛ ليعرفوه جل وعلا بأسمائه وصفاته وعظيم إحسانه، وكمال قدرته، وإحاطة علمه جل وعلا؛ وما ذاك إلا لأن توحيد الربوبية هو الأساس والأصل لتوحيد الإلهية والعبادة؛ فلهذا بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنزلت الكتب السماوية من الله عز وجل؛ لبيان صفاته وأسمائه، وعظيم إحسانه، وبيان استحقاقه أن يعظم ويدعى ويسأل جل وعلا، حتي تخضع الأمم لعبادته وطاعته، وحتى تنيب إليه، وحتى تعبده. دون كل ما سواه جل وعلا، وهذا موجود كثيراً في كتاب الله عز وجل، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك عن كثير من رسله عليهم السلام، فقال سبحانه: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِيعُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وقال جل وعلا: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ فُؤَيْدٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يُقَوْمُوا إِن كَانَ كِبَرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي



وَتَذَكِّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِنْ قَوْلُنَا فَمَا سَأَلْتُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْنِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ [يونس: ٧١-٧٢]، فبين عليه الصلاة والسلام أنه معتمد على الله، وأنه متوكل عليه جل وعلا، وأنه لا يبالي بتهديدهم وتخويفهم، وأنه لا بد له من تبليغ رسالات الله، فقد بلغ فعلاً عليه الصلاة والسلام، فعرفهم بقدرة ربه وعظمته، وأنه هو المحيط بالجميع، والقادر على إنجائه، وعلى إهلاك أعدائه، كما أنه القادر على حفظ رسله وأنبيائه، وإحاطتهم بكلاءته، وإعانتهم على تنفيذ ما جاؤا به من الهدى، وأنزل في هذا سورة تتعلق بنوح عليه الصلاة والسلام، حيث قال جل وعلا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢﴾ قَالَ يَقْتَرِبُ إِلَيَّ لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٣﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۖ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغُرَ فِي أَعَانِهِمْ وَأَسْتَغْفِرُوا يَأْتِهِمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ



جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كَانَتْ غَفَارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَنُمَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَنَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَنَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ [نوح: ١-١٤].

فأوضح سبحانه على لسان نبيه نوح عليه الصلاة والسلام شيئاً من صفاته عز وجل، وأنه الذي يمدهم بما يمدهم به من الأرزاق، والخير الكثير، والنعم العظيمة، وأنه المستحق لأن يعبد ويطاع، ويعظم جل وعلا.

وقال عن هود عليه الصلاة والسلام، وعن قومه في سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ نُوحٌ هُوَذَا لَا تَقْفُوا إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٧﴾ فَانْقُوا لِلَّهِ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٨﴾ وَمَا أَمْسَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ آجِرٍ إِنِ اجْعَلْ لِيَ آجَرًا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٩﴾ أَتَجْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ ءَايَةً تَبْتَئُونَ ﴿١٣٠﴾ وَتَسْخَدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ﴿١٣١﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَابِينَ ﴿١٣٢﴾ فَانْقُوا لِلَّهِ وَأَطِيعُوا ﴿١٣٣﴾ وَأَنْقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٤﴾ أَمَدَّكُمْ بِاتِّعَامِ رَبِّكُمْ وَخَسَفَ رُءُوسُكُمْ وَغِيَّبُوا ﴿١٣٥﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٦﴾﴾ [الشعراء: ١٢٣-١٣٥].

فأوضح الله جل وعلا على لسان نبيه هود عليه الصلاة والسلام كثيراً من النعم التي أنعم بها عليهم جل وعلا، وأنه



رب الجميع، وأن الواجب عليهم: الخضوع له، وطاعة رسوله وتصديقه، ولكنهم أبوا واستكبروا فتنزل بهم عذاب الله من الريح العقيم.

وقال عن صالح عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ۚ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۚ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۚ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ أَتَذْكُرُونَ فِي مَا هَئِنَا مِنْ آمِنِينَ ۚ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۚ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْمِهَا هُضِيمٌ ۚ وَتَنْحَثُونَ مِنْ أَلْجَبَالِ يَبُوتَا فَرِهِينَ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۚ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ۚ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۚ﴾ [الشعراء: ١٤١-١٥٢].

فبين صالح عليه الصلاة والسلام ما يتعلق بالله، وأنه رب العالمين، وأنه أعطاهم ما أعطاهم من النعم.

فكان الواجب عليهم: الرجوع إليه، وتصديق رسوله صالح، وطاعته فيما جاء به، وأن لا يطيعوا المسرفين المفسدين في الأرض، ولكنهم لم يبالوا بهذه النصيحة، ولم يبالوا بهذا التوجيه، بل استمروا في عنادهم وضلالهم وكفرهم حتى أهلكهم الله بالصيحة والرجفة، نسأل الله العافية.



وذكر سبحانه وتعالى أيضاً عن خليله: إبراهيم عليه الصلاة والسلام شيئاً من صفاته عز وجل، وأنه ذكرها لقومه؛ لينبئوا إلى الله، وليعبدوه ويعظموه، حيث قال سبحانه وتعالى في سورة الشعراء: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۖ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَظِيمِينَ ۖ﴾ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ۖ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ۖ﴾ (الشعراء: ٦٩-٧٣).

ينبغي الوقفة عند هذا، فإن الله سبحانه بهذا يبين لهم أن هذه الأصنام لا تصلح للعبادة؛ لأنها لا تسمع ولا تجيب الداعي، ولا تنفع ولا تضر؛ لأنها جماد لا إحساس لها بحاجة الداعين وسؤالهم، وما لديهم من ضرورات، فكيف تدعى من دون الله!، فلهذا قال: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ۖ﴾ (٧١) أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ۖ﴾ (الشعراء: ٧٢-٧٣).

ماذا أجابوا؟ حاروا وحادوا عن الجواب؛ لأنهم يعلمون أن هذه الآلهة ليس عندها نفع ولا ضرر، وليست تسمع دعاء الداعين ولا تجيبه.

فلهذا قالوا: ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۖ﴾ (الشعراء: ٧٤)، ولم يقولوا: إنهم يسمعون أو ينفعون أو يضررون، بل حادوا



عن الجواب، وأتوا بجواب يدل على الحيرة والشك، بل والاعتراف بأن هذه الآلهة لا تصلح للعبادة، فقالوا: ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٤]، يعني: سرنا على طريقتهم وسبيلهم من غير نظر فيما قلت لنا. وهذا معنى قوله في الآية الأخرى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، هذه طريقتهم الملعونة الخبيثة التي سلكوها واحتجوا بها، وساروا عليها، نسأل الله السلامة، ثم قال لهم الخليل عليه السلام: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [٧٥] أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧].

مراده بذلك: معبوداتهم من الأصنام؛ ولهذا قال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧]، فقله: ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [٧٧]، يدلنا على أنه كان عليه الصلاة والسلام يعلم أنهم يعبدون الله ويعبدون معه غيره، ولهذا استثنى ربه، فقال: ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [٧٧] كما في الآية الأخرى: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٧]، فعلم بذلك: أن المشركين يعبدون الله، ويعبدون معه سواه، ولكن النزاع بينهم وبين



الرسول في تخصيص الله بالعبادة، وإفراده بها دون كل ما سواه جل وعلا.

ثم قال بعد ذلك في بيان صفات الرب: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَهُوَ يُهْدِي ۖ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِي ۖ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٧٨) ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ (٨١) [الشعراء: ٧٨-٨١].

هذه أفعال الرب جل وعلا: يشفي المرضى، ويميت ويحيي، ويطعم ويسقي، ويهدي من يشاء، وهو الخلاق القادر على مغفرة الذنوب وستر العيوب؛ فلهذا استحق العبادة على عباده جل وعلا، وبطلت عبادة كل ما سواه؛ لأنهم لا يخلقون ولا يرزقون، ولا ينفعون ولا يضرّون، ولا يعلمون المغيبات، ولا يستطيعون لداعيهم أن يقدموا شيئاً، نفعاً أو ضرراً، كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَّبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ (١٢) ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَتَوَسَّعُوا مَا أَنتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٣-١٤]، فبين عجزهم، وبين أن دعوتهم من دون الله شرك بالله عز وجل، ولهذا قال: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، فبين سبحانه: عجز هذه الآلهة جميعها، وبين أنهم بهذا الدعاء



قد أشركوا بالله عز وجل. وهنا قال: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]، يعني: أطمع أنه سبحانه يغفر لي خطيئتي يوم الدين، فهو حل وعلا ينفع في الدنيا، وينجي في الآخرة، أما هذه الأصنام فلا تنفع لا في الدنيا ولا في الآخرة. بل تضر، ولهذا قال عن خليله إبراهيم: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢-٨٥]، هذا لي حُكْمًا وَالْحَقُّ بِالصَّالِحِينَ ﴿وَجَعَلَنِي لِسَانٍ صَادِقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٥-٨٦]، هذا كله يدل على الإيمان بالآخرة، والدعوة، والدعوة إلى ذلك، وتنبيه العباد على أن هناك آخرة لا بد من المصير إليها، وهناك جزاء، ولهذا قال بعده: ﴿وَجَعَلَنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٦-٨٧]، دعا له بالمغفرة قبل أن يعلم حاله، فلما علم حاله تبرأ منه، كما قال في سورة العنكبوت: ﴿وَإِذْ هَبْنَا دَاوُودَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَانْقُضُوا ذُلُّكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦]، ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦-١٧]، فبين عليه



الصلاة والسلام: أن العبادة حق الله، وأنه يجب أن يُتَّقَى ويُعبد سبحانه وتعالى، وأن الذي فعلوه إفاك لا أساس له، وأن معبوداتهم لا تملك لهم رزقاً أبداً، كما أنها لا تنفعهم ولا تضرهم، فهي أيضاً لا تملك لهم رزقاً، بل الله جل وعلا هو الرزاق، ولهذا قال: ﴿قَابِضُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَأَعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧]، فهو سبحانه الذي يُعبد، ويطلب الرزق منه جل وعلا، دون كل ما سواه سبحانه وتعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، فالمرجع إليه، وهو سبحانه المالك لكل شيء، والقادر على كل شيء، والمستحق لأن يشكر؛ لكمال إنعامه وإحسانه، وهو الذي يطلب منه الرزق جل وعلا، ولهذا قال في آيات أخرى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [مود: ٦].

والآيات الدالة على أن الله سبحانه أمر الرسل أن يوجهوا العباد إليه، وأن يعرفوهم بخالقهم ورازقهم وإلههم سبحانه - كثيرة جداً، موجودة في كتاب الله، من تأمل القرآن وجد ذلك واضحاً بيناً، فالرسل أفصح الناس وأعرف



الناس بالله عليهم الصلاة والسلام، وأكملهم نشاطاً في الدعوة إليه، فليس هناك من هو أصبر منهم على الدعوة ولا أعلم منهم بالله، ولا أحب لهداية الأمم منهم عليهم الصلاة والسلام. ولهذا بلغوا رسالات الله أكمل تبليغ وأتمه، وبينوا للناس صفات الخالق المعبود وأسماءه سبحانه وأفعاله، وفصلوها كي يعلم العباد ربهم، وحتى يعرفوه بأسمائه وصفاته وعظيم حقه على عباده، وحتى ينيبوا إليه عن بصيرة وعلم. ومن هذا ما ذكره الله عن موسى عليه الصلاة والسلام، حيث قال: ﴿وَلَوْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝١٦ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١٧ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۝١٨ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَبْدَأُ بِسَاسِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَارُونَ ۝١٩ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۝٢٠ قَالَ كَلَّا فَإِذْ هَبَا بَيِّتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ۝٢١ فَأَيَّا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢٢﴾ [الشعراء: ١٦١٠-١٦١١]، أمره أن يبين له: أنه رسول رب العالمين؛ لعله يتذكر فينيب إلى الحق، لكنه لم يتذكر، بل أعرض عن ذلك، وقال: ﴿قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكَ مِنَّا وَلِيدًا وَلِئْتَ فِينَا مِنْ عَمْرٍأَ سِنِينَ ۝٢٣ وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝٢٤ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ۝٢٥ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٢٦﴾ [القصص: ٢٢-٢٦]



يُضْمَةُ تَمْتُنَا عَلَى أَنْ عَبَدْتَ بِنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٦﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾  
 قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَنْ حَوَلَةَ  
 أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي  
 أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٣١﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ  
 تَقُولُونَ ﴿٣٢﴾ [الشعراء: ١٨-٢٨]، فانظروا كيف يبين له موسى  
 عليه الصلاة والسلام صفات الرب عز وجل، وأنه رب  
 العالمين، ورب السموات، ورب الأرض وما بينهما، ورب  
 الخلائق كلها، ورب المشرق والمغرب، حتى يعلم عدو  
 الله هذه الصفات لعله يرجع إلى الحق والصواب، ولكن  
 سبق في علم الله أنه يستمر على طغيانه وضلاله، ويموت  
 على كفره وعناده، نسأل الله العافية.

وبين الله سبحانه وتعالى لهارون وموسى أنه معهما  
 يسمع ويرى، وأنه حافظهما وناصرهما ومؤيدهما؛ فلهذا  
 أقدمنا على دعوة هذا الجبار العنيد المتكبر المتغطرس الذي  
 قال: ﴿أَتَأْتِرِكُمْ أَتَعْلَى﴾ ﴿٣٣﴾ [النازعات: ٢٤]، فصانتهما وحماهما  
 من شره وكيده.

ولاشك أن هذا كله من حفظ الله وعنايته برسله وأنبيائه  
 عليهم الصلاة والسلام: رجل متكبر طاغية، ملك لعين



يَدْعِي أَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَمَعَ هَذَا أَقْدَمَا عَلَى دَعْوَتِهِ وَبَيَانِ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ: أَنْ يَنْيِبَ إِلَى اللَّهِ، وَلَكِنَّهُ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ، ثُمَّ دَعَا إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ مِنْ جَمْعِ السَّحَرَةِ وَالسَّحَرِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، حَتَّى أَبْطَلَ اللَّهُ كَيْدَهُ، وَأَظْهَرَ عَجْزَهُ، وَنَصَرَ مُوسَى وَهَارُونَ - عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - عَلَيْهِ وَعَلَى سَحَرَتِهِ، ثُمَّ صَارَتِ الْعَاقِبَةُ - لَمَّا اسْتَمَرَ فِي الطَّغْيَانِ - أَنْ أَغْرَقَهُ اللَّهُ وَجَمِيعَ جُنْدِهِ فِي الْبَحْرِ، وَخَلَصَ مُوسَى وَهَارُونَ وَمَنْ مَعَهُمَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

هَذِهِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْبَالِغَةِ، فِي انتِقَامِ اللَّهِ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَنَصْرِهِ لِأَوْلِيَائِهِ: رَجُلَانِ لَيْسَ مَعَهُمَا إِلَّا جَمَاعَةُ مُسْتَعْبِدُونَ لِفِرْعَوْنَ يَذْبَحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ، وَيَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، يَقْدَمَانِ عَلَى دَعْوَةِ مَلِكٍ جَبَّارٍ، وَبَيَانِ الْحَقِّ لَهُ، وَإِنْكَارِ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَاطِلِ، فَيَحْمِيهَا اللَّهُ مِنْ ظُلْمِهِ وَبَطْشِهِ، بَلْ وَيُثَبِّتُهُمَا وَيُؤَيِّدُهُمَا جَلَّ وَعَلَا، وَيَنْطِقُهُ بِمَا يَقِيمُ الْحُجَّةَ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَتُومَنَ﴾ (٤١) ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (٤٢) ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ (٤٣) ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ (٤٤) ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ



السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٧﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُم إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ مِنهَا خَلَقْنَكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٦٠﴾ [طه: ٥٥-٥٩].

والمقصود: أن الرسل عليهم الصلاة والسلام بينوا الحق وأوضحوه، وبينوا أسماء الرب وصفاته الدالة على قدرته العظيمة واستحقاقه العبادة، وأنه الخالق المالك الرازق المحيي المميت المدبر لكل شيء جل وعلا، وبينوا أيضاً علو الله وفوقيته على خلقه.

ولهذا قال فرعون لوزيره هامان: ﴿أَتِنِي لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَتْلُعُ﴾ [الأنشأ] ﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَى﴾ [غافر: ٣٦-٣٧].

أخبره: أن الله فوق السماء جل وعلا.

ولهذا أراد هذا الجبار أن يتناول بهذا الكلام القبيح الساقط الذي لا قيمة له. ومن هذا ما ذكره الله جل وعلا عن عيسى عليه الصلاة والسلام والحواريين في سورة المائدة، حيث قال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [٥١] قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ



أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَتَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٧﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٨﴾ [المائدة:

١١٢-١١٥]، ففي هذا بيان شيء من قدرة الله جل وعلا، وأنه سبحانه القادر على كل شيء، وأنه سبحانه في العلو؛ لأن الإنزال يكون من الأعلى إلى الأسفل، فإنزال المائدة وطلب إنزالها، كل ذلك دليل على: أن القوم قد عرفوا أن ربهم في العلو، فهم أعرف بالله، وأعلم به من الجهمية وأضرابهم ممن أنكر العلو. فالحواريون طلبوا ذلك، وعيسى بين لهم ذلك، والله بين ذلك أيضاً، ولهذا قال: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١١٥]، فدل ذلك على أن ربنا جل وعلا يطلب من أعلى، وأنه في العلو سبحانه وتعالى فوق السموات، وفوق جميع الخلائق، وفوق العرش، قد استوى عليه استواء يليق بجلاله وعظمته، لا يشابه خلقه في شيء من صفاته جل وعلا.

وقد دل على هذا المعنى آيات كثيرات مصرحة بعلو الله سبحانه وتعالى على خلقه، ومن ذلك آيات الاستواء السبع



المعروفة التي فيها قوله سبحانه في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وفي هذه الآية يبين علوه، وأنه الخلاق الرزاق، وأنه صاحب الخلق والأمر سبحانه وتعالى، وأنه الذي يغشي الليل النهار، وأنه خالق الشمس والقمر، وخالق النجوم، ليعلم العباد عظيم شأنه، وكمال قدرته، وكمال علمه سبحانه، وأنه العالي فوق جميع خلقه، المستحق لأن يعبد سبحانه وتعالى.

ومن هذا الباب قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ۖ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانِكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [١١٦] مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [١١٧] إِنْ تَعَذَّلْتُمْ عَنْهُمْ فَلَا تَعْفُدْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَزِيذُ الْحَكِيمُ [١١٨]﴾ [المائدة: ١١٦-١١٨]، فانظر كيف بين هذه الصفات العظيمة لله عز



وجل، الداعية إلى عبادته وحده، دون كل ما سواه، وأنه  
علام الغيوب، وأنه العزيز الحكيم، وأنه الرقيب على  
عباده، والشهيد عليهم، وأنه يعلم ما في نفس نبيه عيسى،  
وعيسى لا يعلم ما في نفسه سبحانه وتعالى.

وفي هذا أيضاً دلالة على إثبات الصفات، وأن الأنبياء  
جاؤا بإثبات أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق به سبحانه  
وتعالى، وأنه جل وعلا يوصف بأن له نفساً تليق به عز  
وجل لا تشابه نفوس المخلوقين، كما أنه سبحانه له وجه  
وله يد وله قدم وله أصابع لا تشابه صفات المخلوقين، جاء  
بعض هذا في الكتاب العزيز، وجاء في السنة المطهرة ذكر  
الوجه واليد والقدم والأصابع، كل ذلك دليل على أنه  
سبحانه موصوف بصفات الكمال، وأنه لا يلزم من ذلك  
مسايبته للخلق، ولهذا قال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ  
وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، سبحانه وتعالى. فنفى  
عن نفسه المماثلة، ثم أثبت لنفسه السمع والبصر، فدل  
ذلك على أن صفاته وأسماءه لا شبيه له فيها، ولا مثيل له  
فيها، بل هو جل وعلا الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته  
وأفعاله، فهو المستحق لأن يُعبد ويُعظم جل وعلا. أما



المخلوقون فصفاتهم ضعيفة وناقصة، أما هو جل وعلا فهو الكامل في كل شيء، فعلمه كامل وصفاته كاملة كلها، ولا شك أن صفات المخلوقين لا تماثل صفاته أبداً بوجه من الوجوه، ولهذا قال سبحانه: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، وقال عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَكَ يُولَدٌ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [سورة الإخلاص]، وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فأهل السنة والجماعة يثبتون ما ورد في كتاب الله، وما صح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام من أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق به جل وعلا، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل ولا زيادة ولا نقصان، بل يثبتونها كما جاءت، ويمرونها كما جاءت، مع الإيمان بأنها حق، وأنها ثابتة لله سبحانه على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، لا يشابه فيها خلقه، كما قال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وهذه مسائل من مسائل التوحيد، وهي من أهم المسائل، والله سبحانه وتعالى يبين في كتابه العزيز أسماءه



وصفاته، وكرر ذلك في مواضع كثيرة حتى يُعرف الله سبحانه وتعالى بعظيم أسمائه، وعظيم صفاته وعظيم أفعاله جل وعلا، فأفعاله كلها جميلة، وأسماءه كلها حسنى، وصفاته كلها عُلَى، وبذلك يعلم العباد ربهم وخالقهم فيعبدونه على بصيرة، وينيبون إليه على علم، وأنه يسمع دعاءهم، ويجيب مضطربهم، وأنه على كل شيء قدير سبحانه وتعالى.

ومن هذا ما ذكره الله جل وعلا عن قوم موسى من بني إسرائيل لما عبدوا العجل أوضح لهم سبحانه فساد أمرهم، ويطلان ما فعلوه، فقال جل وعلا: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُلُوسِهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَّهُمْ خُورٌ الَّذِي يَرَوْنَ أَنَّهُمْ لَا يَكْلُمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨]. فبين لنا: أن الإله المستحق للعبادة يجب أن يكون متكلماً، وأن يكون سميعاً بصيراً، وأن يكون يهدي السبيل، وأن يكون بيده القدرة على كل شيء، والعلم لكل شيء، أما عجل جماد يُعبد من دون الله، فهذا من فساد العقول: عجل لا يجيب الداعي، ولا يبين كلاماً، ولا يرد جواباً، ولا ينفع ولا يضر، فكيف يُعبد من دون الله؟! ١٩



وفي الآية الأخيرة، يقول جل وعلا: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩] .

أي: أنه لا يرجع لهم قولاً، ومعنى يرجع: يرد، فإن رجعت الله: ردك الله، يعني: أن هذا العجل لا يرد قولاً لمن كلمه وخاطبه، ولا يملك ضراً ولا نفعاً، فكيف تُصرف له العبادة لو كانت العقول سليمة!، وهذا المعنى في كتاب الله كثير جداً، يبين الله سبحانه وتعالى لعباده أنه المستحق للعبادة؛ لكماله وقدرته العظيمة، وأنه المالك لكل شيء والقادر على كل شيء، الذي يسمع دعاء الداعين، ويقدر على قضاء حاجتهم ويوجب مضطربهم، ويملك الضر والنفع، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، سبحانه وتعالى.

وقد بعث الله نبينا محمداً ﷺ وهو سيد الخلق، وأفضلهم، وإمام المرسلين، بعثه بما بعث به المرسلين الأولين: من توحيد الله، والإخلاص له، والدعوة إلى ذلك، وبيان صفاته وأسمائه، وأنه المستحق لأن يُعبد جل وعلا، فكانت دعوته دعوة كاملة، قال جل وعلا: ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِنَّكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]،



وأنزل عليه كتاباً عظيماً، وهو أشرف الكتب وأعظمها وأنفعها وأعمها، بين فيه أدلة التوحيد، وأنه الرب العظيم، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، النافع الضار، وأمر نبيه أن يبلغ الناس ذلك في آيات كثيرات، من تدبر القرآن عرفها، كما قال سبحانه: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا لَتَقُونَنَّ﴾ [يونس: ٣١]، فأمر الله نبيه ﷺ أن يحتج عليهم بما أقرؤا به من أفعال الرب وقدرته، وأنه يحيي ويميت، وأنه المدبر الرزاق على ما جحدوا في توحيد العبادة وأنكروه.

والمعنى إذا كنتم مقربين بأن هذا هو ربكم الذي يملك الضر والنفع، ويدبر الأمور، ويحيي ويميت، ويرزق عباده، فكيف لا تتركون الإشراف به، وتعبدونه وحده دون ما سواه جل وعلا، ومن هذا قوله سبحانه: ﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٨٤-٨٥]، سيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٨٥]، والمؤمنون: ٨٤-٨٥، والآيات بعدها.



فكل هذا تذكير من الله لعباده على يد رسوله محمد ﷺ بعظيم حقه، وبأسمائه وصفاته، وأنه عز وجل المستحق لأن يُعبد؛ لكمال قدرته، وكمال علمه، وكمال إحسانه، وأنه النافع الضار، وهو القادر على كل شيء، المتفرد في أفعاله وأسمائه وصفاته عن المشابه والنظير جل وعلا.

ولما بعث الله نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام، بدأ دعوته بالتوحيد، كالرسل السابقين سواء، فقال لقريش: «ياقوم، قولوا: لا إله إلا الله فتلحوا».

هكذا بدأهم، ما أمرهم بالصلاة أو الزكاة أولاً، أو ترك الخمر أو الزنا أو شبه ذلك.

لا، بل بدأهم بالتوحيد؛ لأنه الأساس، فإذا صلح الأساس جاء غيره بعد ذلك.

فبدأهم بالأساس العظيم: وهو توحيد الله والإخلاص له، والإيمان به وبرسوله.

فأساس الملة وأساس الدين في شريعة كل رسول: توحيد الله، والإخلاص له، فتوحيد الله والإخلاص هو دين جميع المسلمين، وهل محل دعوتهم جميعاً، وزبدة رسالتهم عليهم الصلاة والسلام كما سلف، ولما قال



الرسول عليه الصلاة والسلام لقومه: «قولوا: لا إله إلا الله»، استنكروا ذلك، واستغربوه؛ لأنه خلاف ما هم عليه وآباؤهم، فقد ساروا على الشرك، وعبادة الأوثان من دهر طويل، بعدما غيّر عليهم دينهم عمرو ابن لحي الخزاعي الذي كان رئيساً في مكة، فيقال: أنه سافر إلى الشام، ووجد الناس يعبدون الأصنام هناك فجاء إلى مكة ودعا الناس إلى عبادة الأصنام؛ تقليداً للكفار هناك، ويقال: إنه قيل له: إيت جدة، تجد فيها أصناماً معدة، فخذها ولا تهب، وادع العرب إلى عبادتها تجب.

فاستخرجها ونشرها بين العرب فعبدوها وهي: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، التي كانت معبودة في قوم نوح، فاشتهرت بين العرب، وعُبدت من دون الله؛ بسبب عمرو بن لحي المذكور، ثم أوجدوا أصناماً وأوثاناً أخرى، في سائر القبائل يعبدونها مع الله، يسألونها قضاء الحوائج، ويجعلونها آلهة مع الله، ويتقربون إليها بأنواع القربات؛ كالذبح، والنذر، والدعوات، والتمسح، وغير ذلك.

ومن ذلك العزى: لأهل مكة، ومناة: لأهل المدينة ومن



حولهم، واللات: لأهل الطائف ومن حولهم، إلى غير ذلك من الأوثان والأصنام الكثيرة في العرب، فلما دعاهم هذا النبي الكريم رسولنا عليه الصلاة والسلام إلى توحيد الله وترك آلهتهم، أنكروا عليه ذلك، وقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، وقال جل وعلا عنهم في سورة الصافات: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [٢٥] وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا نَزِدُّكَ إِلَهًا إِلَهًا شَاعِرٌ يُجَنِّونَ﴾ [٢٦] [الصافات: ٣٥-٣٦]، فانظر يا أخي، كيف غلب عليهم الجهل حتى جعلوا الدعوة إلى توحيد الله أمراً عجاباً، واستكبروا عنه، واستغربوه، وعادوا من دعاهم إليه حتى قاتلوه، وانتهى الأمر أن جمع رأيهم على قتله، فأنجاه الله من مكرهم، وهاجر من بين أظهرهم إلى المدينة عليه الصلاة والسلام، ثم حاولوا قتله أيضاً يوم بدر فلم يفلحوا، وحاولوا ذلك يوم أحد بأشد مما قبل، فكفاه الله مكرهم وكيدهم، ثم حاولوا يوم الأحزاب استئصال الدعوة والقضاء على الرسول وأصحابه، فأبطل الله كيدهم، وفرق شملهم، وأنجاه الله من شرهم ومكائدهم، ونصر دينه، وأيد دعوته، وأعانه على جهاد أعدائه حتى أقر الله عينه قبل وفاته عليه الصلاة



والسلام بانتصار دين الله وظهور الحق، وانتشار التوحيد في الأرض، والقضاء على الأوثان والأصنام، بعدما فتح الله عليه مكة في السنة الثامنة من الهجرة في رمضان، ودخل الناس بعد ذلك في دين الله أفواجا؛ بسبب فتح الله عليه مكة، ودخول قريش في الإسلام، ثم تابعت العرب في الدخول في دين الله، وقبول ما دعا إليه عليه أفضل الصلاة والسلام، من توحيد الله، والإخلاص له جل وعلا، والتمسك بشريعته سبحانه وتعالى.

والمقصود: أن رسولنا ونبينا محمداً عليه الصلاة والسلام دعا إلى ما دعت إليه الرسل قبله - من نوح ومن بعده - إلى توحيد الله، والإخلاص له، وترك عبادة ما سواه.

هذه أول دعوته، وهذه زبدها، وهي أهم واجب، وأول واجب، وأعظم واجب، وكان بنو آدم على التوحيد من عهد آدم إلى عهد نوح عليه السلام عشرة قرون، كما قال ابن عباس وجماعة، فلما اختلفوا بسبب الشرك الذي وقع في قوم نوح، بعث الله الرسل، قال الله عز وجل: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣].

المعنى: كان الناس أمة واحدة على التوحيد والإيمان،



فاختلفوا بعد ذلك، كما قال في آية أخرى في سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: ١٩].

فالمعنى: أنهم كانوا على التوحيد والإيمان، هذا هو القول الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك بينهم؛ بسبب دعوة الشيطان، إلى عبادة: ودّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر. فلما وقع الشرك في قوم نوح؛ بسبب غلوهم في الصالحين وتزيين الشيطان لهم عبادتهم من دون الله، بعث الله إليهم نوحاً عليه الصلاة والسلام، فدعاهم إلى توحيد الله والإخلاص له، وترك عبادة ما سواه جل وعلا.

فكان نوح عليه الصلاة والسلام أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض بعدما وقع الشرك فيها، أما آدم فجاءت أحاديث ضعيفة تدل على أنه نبي ورسول مكلم، لكنها لا يعتمد عليها؛ لضعف أسانيدھا، ولاشك أنه أوحى إليه بشرع، وأنه على شريعة من ربه عليه الصلاة والسلام، وكانت ذريته على شريعته وعلى توحيد الله، والإخلاص له، ثم بعد ذلك بعشرة قرون أو ما شاء الله من ذلك، وقع الشرك في قوم نوح في ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، كما تقدم.



وقد جاء في الآثار المشهورة عن ابن عباس وغيره: أن  
وداً وسواعاً ويعقوث ويعوق ونسراً كانوا رجالاً صالحين،  
فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى  
مجالسهم أنصاباً، وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تُعبد،  
حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عُبدت من دون الله عز  
وجل: أي لما ذهب العلم. وقل العلماء المتبصرون جاء  
الشيطان إلى الناس فقال لهم:.. إن هذه الأصنام إنما  
صورت؛ لأنها كانت تنفع، وكانت تُدعى ويستغاث بها،  
ويستسقى بها، فوقع الشرك في الناس بسبب ذلك.

وبهذا يعلم: أن نوحاً عليه الصلاة والسلام أول رسول  
أرسله الله إلى أهل الأرض، بعد وقوع الشرك فيها، كما  
جاء في الصحيحين وغيرهما: «.. من أن أهل الموقف يوم  
القيامة يقولون: يا نوح، أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل  
الأرض، فاشفع لنا إلى ربك..» الحديث.

أما آدم فقد ثبت نبوته قبل ذلك عليه الصلاة والسلام  
بدلائل أخرى. وجاء في حديث أبي ذر، عن أبي حاتم بن  
حبان وغيره أنه سأل النبي ﷺ عن الرسل وعن الأنبياء فقال  
النبي ﷺ: «الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفاً، والرسل



ثلاثمائة وثلاثة عشر»، وفي رواية أبي أمامة: «ثلاثمائة وخمسة عشر». ولكنهما حديثان ضعيفان عند أهل العلم، ولهما شواهد ولكنها ضعيفة أيضاً، كما ذكرنا آنفاً، وفي بعضها أنه قال عليه الصلاة والسلام: «ألف نبي فأكثر»، وفي بعضها: «أن الأنبياء ثلاثة آلاف»، وجميع الأحاديث في هذا الباب ضعيفة، بل عد ابن الجوزي حديث أبي ذر من الموضوعات، والمقصود: أنه ليس في عدد الأنبياء والرسل خبر يعتمد عليه، فلا يعلم عددهم إلا الله سبحانه وتعالى، لكنهم جم غفير، قص الله علينا أخبار بعضهم ولم يقص علينا أخبار البعض الآخر؛ لحكمته البالغة جل وعلا، والفائدة العظمى: أن نعرف أنهم جميعهم دعوا إلى توحيد الله، والإخلاص له سبحانه وتعالى، وأنهم دعوا أممهم إلى ذلك، فمنهم من قبل هذه الدعوة، ومنهم من ردها، ومنهم من لم يتبعه إلا القليل، ومنهم من لم يجبه أحد بالكلية، كما أخبر بذلك نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

ونبينا وهو خاتمهم وأفضلهم عليه الصلاة والسلام قد عُلِمَ ما جرى له مع قومه من الخصومة والنزاع في مكة المكرمة، وقد أودى كثيراً هو وأصحابه حتى أجمعوا على



قتله، فأنجاه الله من بين أظهرهم، وفي المدينة جرى ما جرى من الغزوات والجهاد العظيم حتى نصره الله وأيده عليهم عليه الصلاة والسلام.

وبذلك يتضح للجميع: أن دعوة الرسل جميعهم: هي دعوة إلى توحيد الله والإخلاص له، وأن الأنبياء جميعاً، والمرسلين كلهم دعوا إلى توحيد الله والإخلاص له، والإيمان بأسمائه وصفاته وأفعاله، وأنه سبحانه واحد في ربوبيته، واحد في أسمائه وصفاته، واحد في استحقاقه العبادة دون كل ما سواه جل وعلا، فلا يستحقها غيره لا نبي ولا ملك ولا صالح ولا غيرهم من المخلوقات، فالعبادة حق الله جل وعلا، ولها خلق الخلق سبحانه وتعالى، وبها أرسل الرسل، كما قال سبحانه وتعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فلعبادة الله وتوحيده خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، كما قال تعالى:

﴿الرَّكِيبُ أَهْكَمْتَ أَيُّنْتُمْ ثُمَّ فَضَّلْتَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [١] أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: ٢-١]، وقال سبحانه:

﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾



وَلْيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَحْدٌ وَلْيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ ﴿٥٦﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وقد أبان الله سبحانه في كتابه العزيز من آياته ومخلوقاته ما يدل على قدرته العظيمة، وألوهيته وربوبيته، وأنه المستحق للعبادة سبحانه وتعالى.

ومن تدبر كتاب الله ومخلوقاته وجد من الآيات المتلوة والحسية والأخبار المنقولة - ما يدل على أنه سبحانه المستحق للعبادة جل وعلا، وأن الرسل كلهم بلغوا ذلك ودعوا إليه، وأن الشرك الذي وقع في قوم نوح لم يزل في الناس إلى يومنا هذا، فلم يزل في الناس من يعبد الأصنام والأوثان، ويغلو في الصالحين والأنبياء، يعبدهم مع الله، كما هو معلوم عند كل من نظر في أخبار العالم من عهد نوح إلى يومنا هذا.

وبما ذكرنا من كتاب الله عز وجل، ومن كلام رسوله محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ومن واقع العالم يتضح أن التوحيد أقسام، وقد عرف ذلك أهل العلم بالاستقراء لكتاب الله، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام. فهو أقسام ثلاثة:

الأول: توحيد الربوبية: وهو الإيمان بأن الله عز وجل



واحد في أفعاله، وخلقه وتديره لعباده، وأنه المتصرف في عباده كما شاء سبحانه وتعالى، بعلمه وقدرته جل وعلا.

**والثاني: توحيد الأسماء والصفات**، وأنه سبحانه وتعالى موصوف بالأسماء الحسنى والصفات العلا، وأنه كامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله جل وعلا، وأنه لا شبيه له، ولا نظير له، ولا ند له عز وجل.

**الثالث: توحيد العبادة**، وأنه يستحق سبحانه وتعالى أن يُعبد وحده لا شريك له، دون ما سواه جل وعلا.

وإن شئت قلت: توحيد الله سبحانه وتعالى: هو الإيمان بأنه رب الجميع وخالق الجميع، ورازق الجميع، وأنه لا شريك له جميع أفعاله سبحانه وتعالى، لا شريك له في خلقه ورزقه للعباد، لا شريك له في تدبير الأمور، وهو المالك لكل شيء جل وعلا، كما قال سبحانه وتعالى:

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢]

[١٢]، فهو المالك لكل شيء، والمتصرف في كل شيء جل وعلا، له الأمر كله، وله الخلق كله، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْمَلَكِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وهو الموصوف بصفات الكمال، والمسمى بالأسماء الحسنى،



فلا شبيه له من خلقه في شيء، بل هو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو المستحق أن يُعبد ويُخص بالعبادة؛ من الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرغبة والصلاة والصوم والذبح والنذر وغير ذلك.

هذا كله داخل في مسمى التوحيد، توحيد الله سبحانه وتعالى، توحيد الأنبياء والمرسلين، وهو التوحيد الذي جاء به خاتمهم وسيدهم وإمامهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

ويمكن أن نأتي بعبارة أخرى فنقول: توحيد الله الذي جاءت به الرسل جميعهم ينقسم إلى قسمين:

**الأول: توحيد في المعرفة والإثبات، فمعناه: الإيمان بأسماء الله وصفاته وذاته جل وعلا، وخلق له للعباد ورزقه لهم، وتديره لشئونهم سبحانه وتعالى.**

هذا هو التوحيد في المعرفة والإثبات: أن تؤمن وتصدق بأن الله سبحانه واحد في ربوبيته، واحد في أسمائه وصفاته وتديره لعباده، وهو الخالق لهم والرازق لهم والموصوف بصفات الكمال المنزه عن النقص والعيب لا شريك له في ذلك، ولا شبيه له، ولا ند له جل وعلا.



الثاني: توحيد القصد والطلب: وهو أفراد الله سبحانه في قصدك وطلبك وصلاتك وصومك، وسائر عباداتك، لا تقصد بها إلا وجهه جل وعلا، وهكذا صدقاتك، وسائر أعمالك التي تتقرب بها، لا تقصد بها إلا وجهه جل وعلا، فلا تدعو إلا إياه، ولا تنذر إلا له، ولا تتقرب بأنواع القرىات إلا له سبحانه، ولا تطلب شفاء المرضى والنصر على الأعداء إلا منه عز وجل، توحده في كل ذلك.

فهذه أنواع التوحيد، لك أن تعبر عنها بنوعين، ولك أن تعبر عنها بثلاثة أنواع، ولك أن تعبر عنها بنوع واحد، كما تقدم فيما ذكرنا آنفاً.

ولا مشاحة في الاصطلاح والتعبير، وإنما المقصود: أن نعرف ما هو التوحيد الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب، ووقعت فيه الخصومة بين الرسل وأممهم، وهو توحيد العبادة.

أما كونه سبحانه رب الجميع وخالق الخلق ورازقهم، وأنه كامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وأنه لا شبيه له، ولا ند له، ولا مثيل له، فهذا لم يقع فيه الخلاف بين الرسل والأمم، بل جميع المشركين من قريش وغيرهم



مقرون به، وما وقع من إنكار فرعون وادعائه الربوبية فمكابرة، يعلم في نفسه أنه مبطل، كما قال له موسى:

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال سبحانه فيه وفي أمثاله:

﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَقِنتَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُظُمًا﴾ [النمل: ١٤]، وقال تعالى:

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّكُمْ لَيَحْزَنُنَا الَّذِي يَتَّبِعُوكُمْ لَا تَكْذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وهكذا ما ادعته الظالمين بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٢٣﴾ [الأنعام: ٢٣]، وهكذا ما ادعته

الثانوية من إلهية النور والظلمة، فمكابرة أيضاً، وهم مع ذلك لم يقولوا: إنهما متساويان، فليس في العالم من يقول: إن هناك إلهين متساويين في التصرف والتدبير، وأما إنكار الملاحدة لرب العالمين كلياً، وإنكارهم للآخرة، فليس هذا بمستغرب من أعداء الله؛ لفساد عقولهم بسبب استيلاء الشياطين عليهم حتى اجتالهم عن فطرة الله التي فطر عليها الناس، وهؤلاء الملاحدة، وإن أنكروا بالسننهم فقلوبهم تفر بذلك، كما أقر بذلك الجمادات، وكل شيء، كما قال سبحانه وتعالى:

﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّعْيُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال جل وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ



يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ  
وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ  
الْعَذَابُ ﴿[الحج: ١٨]، الآية.

والمقصود: أن من أنكر رب العالمين من الكفرة  
المجرمين، فهو في الحقيقة مكابر لفطرته وعقله، فإن  
الفطرة والعقل يشهدان بوجود رب متصرف في الكون،  
مدبر للعباد، لا شبيه له، ولا شريك له، ولا ند له سبحانه  
وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً، ولهذا قلنا: إن  
المشركين قد أقرروا بتوحيد الربوبية، والأسماء والصفات،  
ولم ينكروا ذلك؛ لأنهم يعلمون أن الله جل وعلا خالق  
العباد ورازقهم، ومدبر أمورهم، منزل المطر، المحيي  
المميت، الرزاق للعباد وغير ذلك، كما تقدم بيانه.

فالواجب عليك: يا عبدالله - إذا عرفت ما تقدم - أن  
تبذل وسعك في بيان هذا الأصل الأصيل، ونشره بين  
الناس، وإيضاحه للمخلق، حتى يعلمه من جهله، وحتى  
يُعبد الله وحده، من أشرك به وخالف أمره، وحتى تكون  
بذلك قد اتبعت الرسل، وسرت على منهاجهم في الدعوة  
إلى الله، أداءً للأمانة التي حملتها.



فيكون لك مثل أجور من هداه الله على يدك إلى يوم القيامة، كما قال الله جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال جل وعلا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» رواه مسلم في صحيحه، وقال لعلي رضي الله عنه لما بعثه إلى خيبر: «فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» متفق على صحته.

هذا وأسأل الله عز وجل أن يوفقنا جميعاً للفقهِ في دينه والاستقامة على ما يرضيه، وأن يعيننا جميعاً من أسباب غضبه، ومن مضلات الفتن، كما أسأله سبحانه أن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يصلح أحوال المسلمين ويولي عليهم خيارهم، إنه سبحانه وتعالى جواد كريم. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.



## توضيح معنى الشرك بالله

السؤال: ما هو الشرك، وما تفسير قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُ بِهِ الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَهَ الْوَسِيلَةَ وَجَنِّهْدُوا﴾ [المائدة: ٢٥]، الآية؟

الجواب: الشرك على اسمه: هو تشريك غير الله مع الله في العبادة، كأن يدعو الأصنام أو غيرها، يستغيث بها، أو يندرج لها، أو يصلي لها، أو يصوم لها، أو يذبح لها، ومثل: أن يذبح للبدوي، أو للعيدروس، أو يصلي لفلان، أو يطلب المدد من الرسول ﷺ، أو من عبدالقادر، أو من العيدروس في اليمن، أو غيرهم من الأموات والغائبين فهذا كله يسمى شركاً، وهكذا إذا دعا الكواكب، أو الجن أو استغاث بهم، أو طلبهم المدد، أو ما أشبه ذلك، فإذا فعل شيئاً من هذه العبادات مع الجمادات، أو مع الأموات، أو الغائبين صار هذا شركاً بالله عز وجل، قال الله جل وعلا: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ



وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ [الزمر: ٦٥]، ومن الشرك: أن يعبد غير الله عبادةً كاملة، فإنه يسمَّى: شركاً، ويسمَّى: كفراً، فمن أعرض عن الله بالكلية وجعل عبادته لغير الله؛ كالأشجار، أو الأحجار، أو الأصنام، أو الجن، أو بعض الأموات من الذين يسمونهم بالأولياء يعبدهم أو يصلي لهم أو يصوم لهم وينسى الله بالكلية فهذا أعظم كفراً وأشد شركاً، نسأل الله العافية، وهكذا من ينكر وجود الله، ويقول: ليس هناك إله والحياة مادة؛ كالشيوعيين، والملاحدة المنكرين لوجود الله، هؤلاء أكفر الناس وأضلهم وأعظمهم شركاً وضلالاً نسأل الله العافية.

**والمقصود:** أن أهل هذه الاعتقادات وأشباهاها كلها تسمى: شركاً، وتسمى: كفراً بالله عز وجل، وقد يغلط بعض الناس؛ لجهله فيسمِّي دعوة الأموات والاستغاثة بهم: وسيلة، ويظنها جائزة، وهذا غلط عظيم؛ لأن هذا العمل من أعظم الشرك بالله، وإن سماه بعض الجهلة أو المشركين: وسيلة، وهو دين المشركين الذي دمهم الله عليه وعابهم به، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لإنكاره والتحذير منه، وأما الوسيلة المذكورة في قول الله عز وجل:



﴿ يَكَايَهُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥].

فالمراد بها: التقرب إليه سبحانه بطاعته، وهذا هو معناه عند أهل العلم جميعاً، فالصلاة قربة إلى الله فهي وسيلة، والذبح لله وسيلة؛ كالأضاحي، والهدي، والصوم وسيلة، والصدقات وسيلة، وذكر الله وقراءة القرآن وسيلة، وهذا هو معنى قوله جل وعلا: ﴿ يَكَايَهُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥]، يعني: ابتغوا القربة إليه بطاعته، هكذا قال ابن كثير وابن جرير والبغوي وغيرهم من أئمة التفسير، والمعنى: التمسوا القربة إليه بطاعته واطلبوها أينما كنتم مما شرع الله لكم، من صلاة وصوم وصدقات وغير ذلك، وهكذا قوله في الآية الأخرى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الاسراء: ٥٧]، هكذا الرسل وأتباعهم يتقربون إلى الله بالوسائل التي شرعها من جهاد وصوم وصلاة وذكر وقراءة قرآن إلى غير ذلك من وجوه الوسيلة، أما ظن بعض الناس أن الوسيلة هي التعلق بالأموات والاستغاثة بالأولياء فهذا ظن باطل، وهذا اعتقاد المشركين



الذين قال الله فيهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا  
يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَئِذَا شَفَعْنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، فرد  
عليهم سبحانه بقوله: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ  
وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَفَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].



## الفهرس

الموضوع	صفحة
مقدمة .....	٣
حقيقة التوحيد والشرك .....	٥
توحيد المرسلين وما يضاده من الكفر والشرك ..	٣٣
توضيح معنى الشرك بالله .....	٧٥
الفهرس .....	٧٩

طبعت بإذن من رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء

رقم ١١/٢٠٨ وتاريخ ١٤١٧/٧/٢١ هـ



الى كل طالب علم وداعية،

نقدم لك إسهاماً متواضعاً من إصداراتنا يُعينك بعد الله عز وجل على أداء رسالتك العلمية ويحفزك على بذل المزيد في مجال الدعوة:

\* القضاء والقدر \* كتاب التوحيد \* الوسيلة \* الشفاعة  
\* أحاديث في الفتن والحوادث \* الكبائر \* كلمات متنوعة في  
أبواب متفرقة \* صفات الداعية الناجح \* فوائد إيمانية من كتب  
ابن القيم \* ذم الهوى والشهوات \* الهمة العالية \* الوجازة في  
تجهيز الجنائز \* الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات  
\* قواعد الترجيح عند المفسرين \* جواب أهل العلم والإيمان  
\* فقه التاريخ \* أبوبكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم  
بالخلافة \* آل رسول الله وأولياؤه \* الفتنة وموقف المسلم منها  
في ضوء القرآن \* محرمات متمكنة في الأمة \* الإسلام بين الغلو  
والجفاء والإفراط والتفريط \* لحظات ساكنة \* حاجة الصحوة  
إلى الفقه في الدين \* الافتراق مفهومه وأسبابه \* العلماء هم  
الدعاة \* أصول وضوابط في مجانبة الكافرين \* ما يتميز به  
المسلم عن المشرك \* آداب المشي إلى الصلاة

[اطلب قائمة إصدارات الدار تصلك بالبريد أو بالفاكس]